وممن تحت الثرى سكنة سائر الأرضين، والأنجم العامرة التي فيها مدن كمثل التي في الأرض[١].

والأحاديث الواردة في ترتيب الثرى بما قبلها مجهولة المعنى إلّا في تجهيل من سوى الله لما تحت الثرى.

ولنا أن نفتش عما تحت الثرى، كما حصلنا لحد الآن على مواضيع منها، وبقيت أخرى لمَّا نصل إليها، منها ما علَّنا نصل إليها على ركب العلم روحياً وزمنياً مهما ضل عنها الأوّلون، ومنها ما لن نصل إليها كما يشير إليها أئمة الهدى «عند ذلك ضل وانقضى علم العلماء، وما يعلم تحت الثرى إلا الله».

وبعبارة أخرى وصيغة أحرى، إن العلم الحق وحق العلم بكل ذلك، كما حقُّ القدرة والقدرة الحقة، إن ذلك كله مخصوص بالله تعالى، كما تلمح له «له...» حيث يدل تقديم الظرف على الحصر، ونحن لا نعلم - فيما نعلم منها - إلّا ظاهراً ضئيلاً، وجانباً قليلاً ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٢]!

﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾﴾:

﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ﴾ أياً كان، مع ربك كما في صلاتك وسائر دعائك، أم مع غيره أو نفسك، ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ فضلاً عن الجهر.

فلماذا ﴿تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ﴾ مع ربك؟ ألأنه لا يعلم السر؟ ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾! أم لأنك تلتذ بسماع صوت الدعاء إلى الله منك أو سواك، فلا عليك إذاً أن تجهر بالقول، أم لأنك تعني بجهرك أن تُسمع الآخرين تشجيعاً

(١) في البحار عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قوله: إن لهذه النجوم التي في السماء مدائن كمثل التي في الأرض مربوطة بعمودين من نور طولها في السماء اثني عشر عاماً.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

على الدعاء أم تعليماً؟ فكذلك الأمر، أم لأنك ترائي في جهرك ﴿فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾ مهما لا يعلم من نيتك السريرة غير الله: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[١] سراً وأخفى، ولكن أدب الدعاء يقتضي دون الجهر العال: ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا﴾[٢] ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾[٣] ﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡتُمُونَ﴾[٤].

ولقد كان النبي ﷺ يجهر - أحياناً - في الدعاء تعليماً، وهو محبور دون الجهر العال إلّا إذا اقتضت الحال: فـ «كان رسول الله ﷺ إذا سلم من صلاته يقول بصوته الأعلى: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة إلا بالله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون»[٥].

هذا ولكنه دون المرتفع العال وكما قال ﷺ لمن ارتفعت أصواتهم «يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنه معكم سميع قريب»[٦].

أجل ولكل قال مجال، ولكل حال قال يقتضيه المجال، فلا جهر

---

(١) سورة الملك، الآية: ١٣.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ١١٠.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ١١٠.
(٥) تفسير روح المعاني للألوسي ١٦: ١٦٣ قد صح ما يزيد على عشرين حديثاً في أنه ﷺ كثيراً ما كان يجهر بالذكر وصح عن أبي الزبير أنه سمع عبد الله بن الزبير يقول: كان رسول الله ﷺ . . . .
(٦) المصدر عن الصحيحين من حديث أبي موسى الاشعري قال: كنا مع النبي ﷺ وكنا إذا أشرفنا على وادٍ هللنا وكبرنا ارتفعت أصواتنا فقال النبي ﷺ: . . . .

لإسماع ربنا المتعال، ولا فوق العال على أية حال، فلا مرجح لجهر القول في الدعاء في ذاته بل هو مرجوح غير ممنوح، اللهم إلّا لتعليم أو تذكير، أم سنِّ سنة الدعاء، أم حَظوةٍ من سماعها تزيد في عمقها.

ثم ذلك هو السرُّ فما هو الأخفى؟ «السر ما أكننته في نفسك، وأخفى ما خطر ببالك ثم أُنسِيته»[١] ثم وأخفى من ذلك الأخفى ما لم تَنْوِه، أو لم تعلمه ثم تنويه، أو لم تعلمه فتفعله أم لا تفعله[٢] والأخفى المطلقة في الآية تعمهما وما لن ينوه أو يعلمْه أو يفْعله أبداً، مثلث من الأخفى تقابل السر، والكل مقابل الجهر، وهذه الخمس في علم الله سواء: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾[٣] مهما كان لا سواء بالنسبة لنا علماً وحظوة في الدعاء الجاهرة في رنينها وطنينها وحنينها.

وقد يعني ﴿ٱلسِّرَّ﴾ ما هو سرٌ عنك كما عن غيرك حيث أُنسِيتَه، ثم ﴿وَأَخْفَى﴾ ما لم تعلمه بعد، وما لن تعلمه، حيث السرّ هو الكائن السرير، فالأخفى هو غير الكائن الذي بالإمكان كونه بعدُ أم لا، وعوان بين السرّ والجهر هو النجوى، فإنه جهر لمن تناجيه وسر عن سواه، وهي هنا مشمولة للسرّ، وإن كان مع النجوى كالظرف والمجرور إذ اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ﴾[٤] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[٥].

---

(١) نور الثقلين ٣: ٣٧٣ بسند متصل عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧] قال: . . . .

(٢) الدر المنثور ٤: ٢٩٠ - أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس في الآية قال: السر ما أسره ابن آدم في نفسه وأخفى ما خفي عن ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعلمه فإنه يعلم ذلك كله فعلمه فيما مضى من ذلك وما بقي علم واحد وجميع الخلائق عنده في ذلك كنفس واحدة.

(٣) سورة الرعد، الآية: ١٠.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٨٠.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٧٨.

فلأن الآية في مقام عرض العلم المحيط، لم تكن الأخفى لتختص بما سوف تعلمه أو تنويه أو تفعله، بل وما لن تعلمه من الحقائق الكائنة في الكون، بل وغير الكائنة كُوِّنت بعْد أم لم تُكوَّن، كما السر لا يختص بغير النجوى، إذاً فالسرّ هو دون الجهر من القول من نجوى يسمعها صاحبها، ومن إخفات تسمعه في نفسك وقد يسمعه غيرك، أم إخفات لا تسمعه في نفسك وإنما تعلمه وهو النية السريرة.

ومثلث العلم لله: جهراً وسراً وأخفى، هي المواطن الثمانية، ١ - جهراً، ٢ - دون الجهر نجوى، ٣ - إخفاتاً قد يسمعه غيرك، ٤ - إخفاتاً لا يسمعه غيرك وتسمعه في نفسك، ٥ - أم لا تسمعه، ٦ - وسراً عن نفسك ما كنت تعلمه ثم أنسيتَه، ٧ - أم لم تكن تعلمه وبالإمكان أن تعلمه، ٨ - أم ليس بالإمكان أن تعلمه.

فهذه الآية تتكفل عرضاً موجزاً عن عرش العلم في مواطنه الثمانية كما آية الثرى عرضت عرش المَلِكية المالكية المطلقة، فهما إذاً تفسيران لعرش الرحمن ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[1].

ومن ثم الأسماء الحسنى لذي العرش الواحد القهار، عرضاً لوحدة الأسماء الحسنى:

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾:

﴿ٱللَّهُ﴾ قد يكون تعريف التصريح باسم الجلالة بعد المواصفات السابقة السابغة، من ﴿مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ ... ٱلرَّحْمَٰنُ... لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ... فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ﴾ فذلك المربع الصفات هو ﴿ٱللَّهُ...﴾ خبراً عن ﴿هُوَ﴾ المحذوفة، وكما أنه مبتدأٌ لخبريه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ - ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ والجمع

(١) سورة الرحمن، الآية: ١٣.

أجمع وأوفر، رباطاً بما قدم وأخر، مهما كانت هنالك احتمالات أخر[١].

في سائر القرآن آيات أربع تتحدث عن أسماء الله الحسنى[٢] هذه منها، وقد تحدثنا عنها في حشرها[٣] ونزيد هنا أن أسماءه الحسنى لا تختص بالصفات ذاتية وفعلية، بل والرعيل الأعلى من عباده المخلَصين هم من أسمائه الحسنى، نتيجة الصفات الفعلية العليا، فإنهم يدلون على الله ويوجهون إلى الله بما يحملون من رسالات الله وحياً أو إلهاماً.

وفيما أمرنا أن ندعوه بها ونذر ما وراءَها: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ﴾[٤] تعم الدعوةُ الدعاء الخالصة، فهي بالأسماء الأولى، كل دعاء باسم يناسبها، وبواسطة المقربين، سواءً في دعاء الاستغفار وسواه ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[٥].

أم في دعاء المعرفة والعبودية فهي برجالات الرسالات حيث يعرِّفونه كما عرَّف لهم نفسه، ويبيِّنون طرق عبوديته ومسالك طاعته كما بُيِّن لهم.

فدعاء الله بغير الأسماء الحسنى - سواء الأولى أو الأخرى - قبيحة ملحدة نذرها وراءَنا ظهرياً فـ ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾[٦].

وأحسن الأسماء الحسنى هو ﴿هُوَ﴾ وهو ﴿ٱللَّهُ﴾ اسمان للذات المقدسة، وهما مذكوران في كلمة التوحيد التي هي أحسن الكلمات، وهي

(١) كأن يقال ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨] هما وصفان و«الله» خبراً لـ «هو» أمّاذا والقرآن حمال ذو وجوه فاحملوه على أحسن الوجوه.
(٢) وكذلك الآيات ٧: ١٣٧ و١٧: ١١٠ و٥٩: ٢٤.
(٣) في الفرقان ٢٨: ٢٦٥ - ٢٦٦.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.
(٥) سورة النساء، الآية: ٦٤.
(٦) سورة الإسراء، الآية: ١١٠.

ضمان الجنة كما يروى عن رسول الهدى ﷺ: «ما زلت أشفع إلى ربي ويشفعني وأشفع إليه ويشفعني حتى قلت يا رب شفِّعني فيمن قال: لا إله إلا الله - قال -: يا محمد! هذه ليست لك ولا لأحد وعزتي وجلالي لا أدع أحداً في النار قال: لا إله إلا الله»[(١)].

أجل وهي الشجرة الطيبة الطوبى، والكلم الطيب، والحق المتواصى به، والواحدة الموعوظ بها، والوقفة المسؤول عنها، والقول الثابت في الأولى والأخرى.

وقد قال موسى: يا رب علمني شيئاً أذكرك به، قال: قل لا إله إلا الله - قال: كل عبادك يقولون: لا إله إلا الله! فقال: قل لا إله إلا الله! قال: إنما أردت شيئاً تخصني به! قال يا موسى: لو أن السماوات السبع ومن فيهن في كفة ولا إله إلا الله في كفة لمالت بهن: لا إله إلا الله»[(٢)].

وهي بطبيعة الحال ليست فقط قالة القال فإنها قالٍ، بل هي قالة حاكية عن الحال على أية حال وهي درجات.

وترى من قالها بقلبه ولمَّا تظهر على لسانه دونما ضِنَّةٍ ولا استكبار، هل هو من أهلها؟ أجلّ! وإنها أجلُّ من قالِها باللسان لأنها حكاية عما في الجنان، وهو محطة الإيمان، فلو عكس الأمر، قالا باللسان دون الجنان فلا إيمان، مهما قبلت كظاهر الإسلام! هذا - ولكن الذي يعتقدها ثم لا يبرزها بلسانه، كيف يُعرف إيمانه في كتلة الإيمان؟ وحتى إذا عرف فما باله لا يبرزها باللسان وهو شعار الإيمان وشعورٌ بالإيمان![(٣)] اللهم ﴿إِلَّا مَنْ

(١) تفسير الفخر الرازي ٢٢: ١٠ عن أنس بن مالك قال: قال عليه السلام: . . .

(٢) تفسير الفخر الرازي ٢٢: ١١ أن موسى بن عمران قال: . . .

(٣) تفسير الرازي ٢٢: ١٠ - أن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: من قام في السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير «كتب له الله ألف الف حسنة ومحا عنه ألف الف سيئة وبنى له بيتاً في الجنة.

أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[١] وطبعاً فيما إن كانت البُقْية على نفسه أنفس من ظاهرة الإيمان.

ثم بعد اسمي الذات، الأسماء الثلاثة لصفات الذات: الحي العليم القدير، ومن ثم سائر التسعة والتسعين هي أسماء صفات الفعل، وكلها حسنى.

فاختلاق اسماء الله في أيٍّ من هذا المثلث إلحاد في أسمائه، كما اختلاق رسالة ليست من الله إلحادٌ في أسمائه.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠﴾:

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ﴾ ومتى أتاه ومن أين وهو أمي ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾[٢] إلّا أن يأتيه بالوحي، وقد ذُكرت القصة في القصص بتفصيل أكثر مما هنا، وهي بطبيعة الحال مؤخرة عن ﴿طه﴾ وإلّا فقد أتاه حديث موسى إن كانت مقدمة عليها، مهما كان في النقلين فوارق تُكمِّل كلٌ الأخرى، والاستفهام هنا لتقرير العجاب عن حديث موسى وأولى به ثم أولى.

فالقصص تقص الذي حصل لموسى قبل قصته هنا، وهذا بداية الوحي الرسالي لموسى بعد وحي النبأ من ذي قبل: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٣].

﴿إِذْ رَءَا نَارًا﴾ ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ۖ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾[٤]: -.

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٦.
(٢) سورة الشورى، الآية: ٥٢.
(٣) سورة القصص، الآية: ١٤.
(٤) سورة القصص، الآية: ٢٩.

﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾ مكثاً يسيراً ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ والإيناس هنا مما يلمح أنه كان في برد قارص كما يدل عليه ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾ ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ كما تلمح إنه ضل الطريق وكان الليل مظلماً ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾[1] وكما يقال أنه في رجوعه من مدين ضل الطريق في ليلة ظلماء وبردة قرصاء، وريح عاصفة وغنم له متفرقة وطَلْق الزوجة، فرأى ناراً فقال لأهله امكثوا، كأنهم كانوا ناظرين فُرجة إلهية وهي الآن على مشارفها!.

وقد نهتدي من ﴿أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ إلى تفرُّسه من هذه النار هدى رسالية بعد ضلاله في سنيّه العشر، كما ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ قد يخبر بهذه الفروسية.

وطبيعة الحال في هذه الفترة الطائلة عشر سنين تقتضي أن يتفرس في رجعته هذه من النار نوراً ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾[2] - ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ وعلى هامشه القبس الجذوة لعلكم تصطلون، ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ لعلكم تهتدون.

هنا موسى - وهو بمنصرفه من مدين إلى مصر ومعه أهله - يأنس من جانب الطور ناراً، وذلك - بطبيعة الحال - استئناس شخصي لموسى دون أهله، وإلّا فلماذا ﴿إِذْ رَءَا نَارًا﴾ دون أهله؟ ولو كانت أهله ترى ما يرى فلماذا ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾[3] دون «ألا تستأنسوا ناراً» وقد أكد شخصية الرؤية بـ ﴿إِنِّي﴾ ثم ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم﴾ دون «تعالوا معي إلى النار» مما

(١) نور الثقلين ٣: ٣٧٣ عن تفسير القمي في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «آتيكم منها بقبس» يقول: آتيكم بقبس من النار تصطلون من البرد أو أجد على النار هدى - كان قد أخطأ الطريق - يقول: أو أجد على النار طريقاً.

(٢) سورة القصص، الآية: ٢٩.

(٣) سورة القصص، الآية: ٢٩.

يؤكد أن رؤية النار وأنسها كانت له دونهم، فقد يُطَمْئِن أنه تفرس من النار نوراً، فإن كانت ناراً فـ ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾ - ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾[1] وإن كانت نوراً ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ دون «نجد» إذاً فهي في الأصل هدى شخصية، مهما كانت على هامشها هدى الطريق لأهله ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾[2].

وترى أكانت معه زوجته فقط لمكان «أهله»؟ أهله هنا هم جماعة، منهم زوجته لمكان «امكثوا - تصطلون»! وقد تركهم بعد هذه القالة المردِّدة ثم لا خبر عنهم حتى نهاية الرسالة.

وإن قصص موسى هي أكثر القصص المقصوصة في الذكر الحكيم، محلّقة على الحياة الولادية والرسالية الموسوية في بنودها الأصيلة، التي تمتُّ بصلة في الدعوة الرسالية وما تبنّاها أو تبنّته من موادها.

وهي تُعرض بمختلف المسارح المناسبة في سُوَر عِدّة كما تناسب جوَّ السورة، وهنا في «طَه» يسبقها مَطْلعٌ يشفُّ عن رحمته تعالى ورعايته لمن يصطفيهم لحمل أعباء الرسالة، وبلاغ الدعوة، طَمْئَنةً وذكرى لخاطر الرسول الأقدس ﷺ القريح الجريح من أذى المشركين ولظاهم وكما هي الحال في ذكريات سائر الرسالات ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾[3].

وكما هي في سائر مجالاتها وحلقاتها، إذاً فلا تكرار في جلواتها، إلّا تكراراً لمجالاتها المناسبة لها، كلٌّ على قَدَر.

وترى كيف «رأة ناراً» وهي في الحق كان نوراً تشبه النار؟ إنها في رؤيته البدائية ومن بُعد كانت ناراً! ولأنه لم يتأكد كونها ناراً قال ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾

(١) سورة القصص، الآية: ٢٩.
(٢) سورة القصص، الآية: ٢٩.
(٣) سورة هود، الآية: ١٢٠.

دون «رأيت ناراً» ثم ﴿لَّعَلِّيٓ﴾ مرددةً بين ﴿ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ تؤكد أنه لم يتأكد كونها ناراً، مهما احتملت ﴿لَّعَلِّيٓ﴾ عدم التأكد من أحد الأمرين إذا كانت ناراً، وهي قائمة مقام إن شاء الله!.

والنيران خمس: نار لها نور بلا حرقة وهي نار موسى، ونار محرقة بلا نور وهي نار جهنم، ونار تجمعهما وهي المعروفة لدينا، ونار لا حرقة فيها بالفعل ولا نور وهي نار الشجر الأخضر فمنه توقدون، ونارُ كلِّ مادة تظهر في التفجرات الذرية.

و﴿حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذۡ رَءَا نَارٗا﴾ هو ما حدث له بالفعل لأوّل مرة في بزوغ الوحي الرسالي، ولماذا ﴿أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ دون «من النار» لأن قضية الحال في النار الموقدة في الصحراء أن عندها أهلاً عليها فهم يهدوننا الطريق، أم أن على النار نفسها هدى وكما اهتدى بما أوحي له منها.

ثم «قبس» كما هنا، و«جذوة» كما في القصص هما بمعنى، وهو قطعة منها تتجزى ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾[1] وتستوقدون فتعملون بها لأنفسكم ناراً بها تكتفون[2].

(١) سورة النمل، الآية: ٧.

(٢) الدر المنثور ٤: ٢٩٠ - أخرج أحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن وهب بن منبه قال: لما رأى موسى النار انطلق يسيراً حتى وقف منها قريباً فإذا هو بنار عظيمة تفور من ورق شجرة خضراء شديدة الخضر يقال لها العليق لا تزداد النار فيما يرى إلا عظماً وتضرماً ولا تزداد الشجرة على شدة الحريق إلا خضرة وحسناً فوقف ينظر لا يدري ما يصنع إلا أنه قد ظن أنها شجرة تحترق وأوقد إليها موقد فنالها فاحترقت وإنه إنما يمنع النار شدة خضرتها وكثرة مائها وكثافة ورقها وعظم جذعها فوضع أمرها على هذا فوقف وهو يطمع أن يسقط منها شيء فيقتبسه فلما طال عليه ذلك أهدى إليها بضغث في يده وهو يريد أن يقتبس من لهبها فلما فعل ذلك موسى مالت نحوه كأنها تريده فاستأخر عنها وهاب ثم عاد فطاف بها ولم تزل تطمعه ويطمع بها ثم لم يكن شيء بأوشك من خمودها فاشتد عند ذلك عجبه وفكر موسى في أمرها فقال: هي نار ممتنعة لا يقتبس منها ولكنها تتضرم في جوف شجرة فلا تحرقها ثم خمودها على قدر عظمها في أوشك من طرفة عين فلما رأى موسى ذلك قال: إن لهذه شأناً =